

## في «بيت الشعر» الفلسطيني ندوة الانتفاضة والثقافة

رام الله - نظم «بيت الشعر» وهيئة الاستعلامات في فلسطين ندوة ثقافية بعنوان (الانتفاضة والثقافة)، حيث قدّم اثنان من الشعراء ورقّتين منفصلتين حول هذا العنوان، الأولى للشاعر المتوكل طه بعنوان «أسئلة الثقافة وشرط المقاومة»، والثانية قدمها الشاعر فيصل قرطبي بعنوان «الانتفاضة والأدب».

وقد أدار الندوة الشاعر مراد السوداني، وشارك فيها الشعراء والأدباء: غسان زقطان، خالد درويش، يوسف القزاق، د. نادي الديك، عائشة عودة، محمود أبو الهيجاء، وسجلها عايد عمرو.

وقال الشاعر المتوكل طه في ورقته المقدمة: إن الثقافة بدعامتيها المادية والروحية هي في محصلة الأمر تلك المعايير التي نجابه بها الجديد والطارئ والغريب، بمعنى أن الثقافة تعطينا الميزان الذي نقيس به الصواب والخطأ الأخلاقي وغير الأخلاقي، النافع والضار.

وأضاف: إن الثقافة بدعامتيها الروحية والمادية هي الأنماط الذهنية والوجدانية والسلوكية التي تم تثبيتها خلال الزمن، فصارت إلى حدّ ما مطلقة، نهائية مقدسة، صارت جزءاً من التكوين الروحي والنفسي والتعريف الكلي للوجود وهدفه وأسلوب ممارسة ذلك الوجود وشكلها. وكلما كانت تلك الأنماط الثقافية داخلية، كانت عصية على التغيير أو التغير أو المناقشة أو إعادة المناقشة، ولهذا يمكن للمرء أن يغير ملابسه أو أدوات منزله، ولكن من الصعب عليه أن يغير معتقداً يؤمن به.

نقول هذا الكلام لنخلص إلى القول: إن الثقافة بمفهومها الواسع يواجه بها العضلات، وتُتقى بها الأزمات، وكلما كانت هذه ردوداً كافية ومقنعة وذات تأثير، استطاعت هذه الثقافة الصمود والمقاومة والصعود.

وتساءل طه في ورقته عن الفلسطينيين ودور الثقافة في إنكفاء نار مقاومتهم للمحتل، فقال: «في فلسطين، تجري حقاً مواجهة بين عالمين مختلفين، من جهة، هناك العرب والمسلمون الذين يمثلون ثقافة عريضة وغنية وقديمة تعودت التسامح والحوار والوضوح والتعدد، في منطقة تعودت الموزاييك

العقدي والعرقى منذ فجر التاريخ، وهناك المحتل الإسرائيلي اليهودي الذي يمثل ثقافة قديمة صاغتها الهواجس والأحلام، تعودت تقديس الجماعة وروح الأسلاف، ورأت العالم مقسوماً دون تساوي أو تسامح، لا تعترف بالصوت الآخر إلا من حيث إمكانية استغلاله أو استخدامه. ثقافتان مختلفتان كل الاختلاف، حتى فكرة الإله الواحد، ثم الخلاف بشأنها إلى أبعد الحدود، فإذا كان الله في ثقافة هذه المنطقة هو الإله الواحد المطلق، القادر، الرحيم، الذي لا يفرق بين البشر، ويغفر لجميع البشر، نجد الإله لدى المحتل اليهودي ليس إلهاً للجميع ولا يغفر للجميع، وينحاز إلى الإنسان معين ومكان معين.

ولأسباب تاريخية وحضارية نتجاوزها الآن لضيق الوقت، فقد تم تبني المفهوم اليهودي للمسيحية في الغرب، بحيث أصبحت الليبرالية الغربية في أفضل حالاتها غير بعيدة عن ذلك المركب الغريب والخلط العجيب بين المسيحية الغربية واليهودية الشرقية، بحيث تحول اليهودي من ملعون ومطارد إلى رجل مبارك يضيف إلى العالم ما لا يستطيع أحد أن يضيفه، ومن عجب أن يخرج اليهودي من «الغيتو» في المدينة ليحكم المدينة الغربية من خلال دوائر صنع أهم القرارات فيها، إلى الدرجة التي ذكرت فيها كتب التاريخ أن بابوات مشهورين جاءوا من «الغيتو» هذا.

ثقافة المحتل الإسرائيلي ومن يدعمه ثقافة أرضية، على الرغم من مشرقيتها، ثقافة تُعلي من شأن كل ما يمكن وزنه وقياسه، وهي ثقافة حسية لا تتحدث عن العالم الآخر، وهي ثقافة كابوسية يُترك فيها المرء وحده، أمام لا وعيه تماماً، وهي ثقافة ماضوية الأسلاف، هم الأبطال والأحفاد، هم العصاة الذين سيحلّ عليهم غضب الرب».

وقال الشاعر فيصل قرطبي في ورقته المقدمة: «الانتفاضة والأدب كلمتان مختلفتان تماماً من حيث المنبع؛ والمنشأ.. ولكنهما تلتقيان في أحد أبرز مكونات الأهداف، لأنّ اللغة؛ كما وصفها «هيجل» ذات يوم بأنها «أخطر النعم» وأنها أخطر الأخطار جميعاً لأنها هي التي تبدأ بخلق «إمكانية» الخطر، والخطر هو التهديد الذي يحمله الموجود للموجود، ويفضل اللغة يجد الإنسان نفسه معرضاً بوجه عام للمنكشف، وهذا المنكشف باعتباره موجوداً يحاصر الإنسان ويشغله في أنيته، وأضاف: إن الانتفاضة أصبحت في الوعي الفلسطيني الجمعي شيئاً مقدساً، أو على الأقل شبه مقدس في أحاسيس ووجدان الشريحة الكبيرة في الشعب الفلسطيني والعربي، ربما، ولكن أي انتفاضة تلك التي احتلت هذا المكان بامتياز، إنها انتفاضة الحرية والاستقلال، والأدب بكل أشكاله يدافع بقوة وعناد عن الحرية.

وقال قرطبي إن الأدب أصبح تابعاً للانتفاضة، بدل أن يكون الرافعة أو الموجه لهذه الانتفاضة، بل على العكس انقسم وتبعثر وأصبح كل في واد.

ثم جرت المناقشات بين الشعراء والحضور.

الشاعر يوسف القزان: الثقافة الفلسطينية هي ثقافة كونية عالمية، ويفترض أن يكون هناك انشداد عالمي لهذه الثقافة، حيث إن هذه الثقافة لا يروّج لها. وتعريفات الثقافة كثيرة، إلا أن أهمها، وقد فشلنا في إدخال ماهية الثقافة الفلسطينية، فالبعض اعتبرها ثقافة أصداء، ولدينا مراكز ومتقنين معروفين إلا أنهم

يفتقدون للآلة الإعلامية للترويج لها. هنا في فلسطين لا توجد قضية ثقافية مطروحة، أما ثقافة الآخر، فهي ثقافة احتلالية منسجمة مع الثقافة الأمريكية، وهناك عقدة تحكمها من (التاريخ) فالثقافة الأمريكية حديثة وتعتمد على القوة والسيبرمانية.

الثقافة الفلسطينية لا يوجد لها أرشيف مكتوب، وثقافة الانتفاضة يلزمها الحرية، ولذلك وجدنا المنتحر والمنشور السري وغير ذلك.

الناقد د. نادي ساري الديك: موضوع الثقافة هو موضوع شائك، وهنا نتحدث عن ثقافة شعب مشنت، والثقافة فعل تراكمي وليس حدثاً، ونحن الآن نعيش في حالة ضبابية، حيث لا يوجد مؤسسات، أين دور المؤسسات التعليمية؟ وهل وجدت الجامعات لبناء الإنسان الفلسطيني، أم لتخريج أنصاف أميين؟ حيث ارتفعت نسبة الأمية!! نحن ماذا نريد؟ هل نريد بناء مؤسسات؟ قوانين؟ طرد الاحتلال؟ بناء دولة؟ نحن لن نسر ضمن فلسطين واحدة، ماذا يريد الشعب؟ لا أحد يستطيع الإجابة!

الأدب في الأجيال الماضية كان يعجّ بالثورية والواقعية، الآن هناك انقسام، والثقافة لم تواكب الحدث النضالي الآن. المثقف بالعموم مقصر، وهنا نتساءل: لماذا؟ لأنه لا يوجد تفعيل بين الوطن والمواطن حيث أن شرائح كبيرة في المجتمع مغيبة.

ولنتحدث عن المدارس، هنا في رام الله مثلاً مجموع المدارس الحكومية (7) مدارس، والمدارس الخاصة (48) مدرسة، حيث الخاصة ذات فلسفات هدامة، والحكومية مهلهلة.

والسلام الذي نتحدث عنه لم نعمل له! رغم تفضيلنا له، أين ثقافة السلام، كيف نقول لشخص مارس القتال (40) عاماً (لا تطخ)!

كيف؟! حيث غيرنا هذه الثقافة المنغرسه بعد أوصلو. وهكذا تواصل مسلسل الخسارات الفلسطينية. الناقد الديك: نتحدث عن الإعلام، التلفزيون لا علاقة له بما يحدث، والإذاعة بين بين، والصحف سوى مقالات مترجمة وتمجيد أشخاص.

الشاعر غسان زقطان: لي ملاحظتان على الورقتان، حيث ذهب كل (واحد) إلى أقصى المعنى الذي يقصده، فورقة المتوكل، هناك نوع من النفي للآخر، وورقة فيصل هناك كطرف في محاولة شرح فكرة المقاومة.

إن حصر الثقافة الفلسطينية بالثقافة العربية الإسلامية هي عملية إقصاء للثقافة الفلسطينية، فالثقافة الفلسطينية مختلفة، هناك مكونات كثيرة، اليهودية موجودة، والمسيحية موجودة، والإسلام.

والاقتراحات الثلاثة موجودة، ومنابع الثقافة العربية مختلفة، المشروع الثقافي اكتفى في مراحل كثيرة بـ (2000) سنة، رغم أن عمر ثقافتنا عشرة آلاف سنة، رغم أن السنين الباقية هي من لب مشروعنا، إلا أننا أقصيناها.

ما يجري الآن هو إقصاء للمشروع الثقافي الفلسطيني، فإذا ذهبنا إلى رواية الآخر فإن روايته تم (إسقاطها علينا من السماء) ونحن حولناها إلى مجرد.

أما بخصوص الغرب واليهود، فهناك قرن شاسع وهائل بين الثقافة الغربية والثقافة الإسرائيلية، فاليهودي في الثقافة الأوروبية لم يكن نموذجاً طيباً، بل كان مُحارباً ولا يزال، رغم كل محاولات ترميمه وتجديده، هناك غيتو خاص لليهودي في الثقافة الأوروبية لم يغادره.

أما بالنسبة لما هو حاصل الآن حول الكتابة عن الانتفاضة (عربياً ومحلياً) فهناك انحسار لمساحة الكتابة، والنص الذي كتب في الانتفاضة الأولى قادته الانتفاضة، ودخلت فيه وجهات نظر فنية كثيرة عربية ومحلية مبهورة بالحدث.

أما الآن، فلا يوجد هناك انبهار، ولا يوجد هناك أي تنازل باتجاه الانتفاضة على المستوى (الفني) في قصائد الشعراء، وما كتبه الشعراء الكبار عن الانتفاضة لم يأخذ سطوته المعتادة.

والبرنامج الذي طرحه الانتفاضة أكثر براغماتية من الذي طرحه الفلسطينيون.

الشاعر محمود أبو الهيجاء: الثقافة هي التي نجابه بها الجديد، والطارئ، والغريب، وهناك الكثير من الحيوية التي تتعرض له ثقافتنا، مثل العولة، والعولة تجابه كل ثقافات العالم، وتريد أن تهيمن عليها، فمثلاً هناك تمجيد لتقديس السلعة، مقابل محاربة اللغة والثقافة، الثقافة الفلسطينية هي جزء من الثقافة العربية الإسلامية، إلا أن لها خصوصيتها التي يجب المحافظة عليها.

والثقافة ليست مجرد نصوص، فالثقافة هي منجز حضاري وموروث، ولها علاقة بالمزاج. والاعتراف بالآخر لا يلغي أننا جزء من الثقافة العربية .

إن أخطر ما نواجهه الآن من ارتباكنا أمام ثقافة الغرب المنتصرة، أننا نتشكك بثقافتنا لدخولنا في الهزائم، والإعلام بشكل عام يروج لثقافة السلعة، وليست الفضائيات لمجتمعاتها، بل هي لجزء من هذا المجتمع.

إذاً، كيف نواجه الثقافة الغازية، فالانتفاضة حولت إلى فعل سياسي وليس إلى فعل ثقافي، واستطاع المهيمن الاقتصادي والمهيمن السياسي تجيير الانتفاضة إلى حقلها بعيداً عن الثقافة.

زقطان: هناك تعييب لشرائح كثيرة في الانتفاضة الحالية، ومنها المرأة.

د. الديك: هناك انفصام ويُعد بين المثقف والانتفاضة، لم تكن هناك انهيارات في الانتفاضة الأولى (1987)، إلا أن مسلسل الانهيارات ابتدأ منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج الثانية، وزلزلة أوسلو وقبله مدريد، حيث لم يكن الآخر شريكاً بل كان عدواً، وانهيار (11) أيلول الماضي، حيث زلزل العالم، الانتفاضة الأولى كانت مبنية على المضمون وليس على النص، وفي الثانية كان هناك نص ليس مبنياً على المضمون الحاصل.

عائشة عودة: بشكل عام نحن نجد الحديث عن العموميات، ولكن المثقف في كل خضوعه للزلزال هو مريب أمام هذه الزلازل، فكيف الحال مع المواطن؟! ومتى يكون للمثقف تأثير فيما يحدث وهو مريب؟! وبالتالي، الفعل الثقافي إذا أردنا أن يؤثر، يجب عليه الابتعاد عن العموميات والدخول في التفاصيل، مثل كيف نوصل ثقافتنا للناس.

## في مهرجان المرید السابع عشر 3000 كتاب هدية «بيت الشعر» لاتحاد الأدباء العراقيين

رام الله - شارك في مهرجان المرید السابع عشر في العاصمة العراقية بغداد وفد فلسطيني، برئاسة الشاعر المتوكل طه رئيس «بيت الشعر» في فلسطين، وعضوية الشعراء: مراد السوداني، ومحمد حلمي الريشة، وربحي محمود، وشهاب محمد، ومحمود أبو الهيجا، وباسم النبريص، وعثمان حسين، وبكر أبو بكر وسائد السويركي والصحافي عايد عمرو.

وافتح فعاليات المهرجان، التي استمرت من 22-29/12/2001، السيد طارق عزيز مندوباً عن الرئيس العراقي صدام حسين، وبحضور عدد من الوزراء والمسؤولين العراقيين، وجمهور غفير من الأدباء والشعراء والمواطنين، حيث أُلقيت في حفل الافتتاح كلمات عدة وقصائد للشعراء: المتوكل طه، ومروان الخاطر من فلسطين، ومحمد الفيتوري من السودان، وعبد الرزاق عبد الواحد وعلي الياصري من العراق.

هذا وأقيم احتفال خاص في اتحاد الأدباء العراقيين، حضره الشاعر المتوكل طه، وهاني وهيب رئيس اتحاد الأدباء في العراق، وجمهور غفير من الأدباء والمثقفين والمهتمين، وذلك لتسليم هدية فلسطين إلى الأدباء العراقيين التي بادر إليها «بيت الشعر» الفلسطيني بدعم ورعاية السيد الرئيس ياسر عرفات.

واشتملت المبادرة - الهدية على طباعة عشرة عناوين لشعراء عراقيين داخل الحصار، وكذلك ثلاثة ملفات عن الشعر العراقي المحاصر في مجلة «اللائلاء»، حيث تم تسليم أكثر من ثلاثة آلاف نسخة وأكثر من مائة كتاب من إصدارات «بيت الشعر»، وأكثر من ثمانمائة نسخة من مجلة «اللائلاء» ومثلها من مجلة (أقوال).

وتحدث في الحفل هاني وهيب شاكراً فلسطين على هذه المبادرة في الوقت الذي تمر فيه بوضع صعب ومصيري، ثم تحدث الشاعر المتوكل طه عن هذه المبادرة - الهدية، والصعوبات التي واجهت الوفد الفلسطيني في عملية نقل الكتب من الحصار الفلسطيني الخانق لكل شيء، وقال: إن «بيت الشعر» في فلسطين سيبقى البيت الأثير لشعراء العراق، والبيت مشرع أمام الكلمة والهيم والحب العراقي؛ لأن فلسطين هي فضاء العراق كما العراق، هي فضاء فلسطين.

## من بيت الشعر في فلسطين نداء إلى المثقفين العرب

أيها المثقفون العرب الأشقاء المبدعون، نحن في فلسطين بألف خير، نرجو أن تكونوا من المحيط إلى الخليج كذلك، وبعد،

لقد استطاعت انتفاضة الأقصى، انتفاضة الاستقلال أن توحد كل فئات وشرائح الشعب الفلسطيني بكافة اتجاهاته وأطيافه في الاشتباك الشامل مع العدو الصهيوني وأذرع الفاشية، ويوجه المقاومون الفلسطينيين الضربات ضد الغزاة النازيين ومواقعهم العسكرية والاستيطانية والاقتصادية في بلادنا، ويصمد الشعب الفلسطيني أمام همجية ودموية حكومة الجرّار شارون وأمام ألتة العسكرية المتغترسة. ولم ننس، ولا يجب أن ننسى أن فلسطين هي خطّ الدفاع الأول عن الأمة العربية الممتدة في عالمها الواسع بين المحيطين، ولم ننس ولا ينبغي لنا أن ننسى أن أبناء فلسطين هم الكتيبة المتقدمة لهذه الأمة، وأن كل قرية فلسطينية تدافع عن مدينة عربية وكل مخيم يقاوم في فلسطين يدافع عن عاصمة عربية وإسلامية. ومن هنا، من بلادنا التي تعبر المئة الثانية من سنوات المقاومة والصمود، ندعوكم للتحرك، أنتم، مثقفو هذه الأمة وحملتها فكرياً وثقافتها، ولن نفكر عنكم ولن نقترح لكم برنامجاً للتحرك، بل ندعوكم للدفاع عن دوركم وعن تاريخكم وثقافتكم وأطروحاتكم، وندعوكم للوقوف معنا في الدفاع عن أمتنا ووجودها وثقافتها ومكانها على هذا الكوكب.

أيها المثقفون العرب، تستطيعون أن تفعلوا ذلك، لأننا ما زلنا نشق بكم، ونشدّ على أيديكم، ولسنا بحاجة إلى دليل يوقظ غفلتكم فحسبنا ما يجري هنا. أم أنكم لا ترون؟؟

إننا لا نستجدي، ولا نستصرخ، فمعنوياتنا عالية ومعافاة، وإيماننا بالنصر والخلاص أكثر رسوخاً من أيّ زمان فات، لكننا نربأ بالتاريخ من أن يلعن من ينبغي أن يحرس الأحلام وأبواب العقول، ويوصل الوجدان ويحفظ الحقوق والثوابت، لأنه استسلم ورمى أوراقه للريح وهرب.

وإننا أيها المثقفون الأشقاء، ما زلنا نؤمن بعمق بأنّ الثقافة هي الجدار الأخير الباقي لأمتنا، والخيطة

الذهبي الذي يجمعنا من المحيط إلى الخليج، وما زال رهاننا عليكم باقياً حتى الآن، فلا تخذلوا أنفسكم ولا تخونوا مهماتكم.

أيها المثقفون العرب، ماذا بقي لنقول إنكم مدعوون للدفاع عن حروفكم وألسنتكم وأطراف أصابعكم، مع العلم أن لا تبرير يجدي ولا تفسير ينقذكم من هذا الصمت .. فماذا تنتظرون؟ ونكرر القول لكم ما زلنا نعول عليكم أيها الأشقاء .. راجين أن تطمئنونا عنكم وعن قهوتكم وجدلكم ... وكتاباتكم على ثلج الصمت البارد!؟ طمئنونا!!

رام الله - فلسطين  
صبيحة 2002/3/5